

عقيدة السلف في الحساب والجزاء يوم القيامة

يقول المؤلف هاهنا: "و أن الله - سبحانه وتعالى- ضاعف لعباده المؤمنين الحسنات، وصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات"، هذا من فضله - سبحانه وتعالى- أنه يضاعف لعباده المؤمنين، يضاعف لهم الحسنات قال الله تعالى: { مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا } هذه مضاعفة عامة؛ أنه يضاعف الحسنة بعشرة أمثالها، وقد يضاعفها بأكثر؛ وذلك في باب المناسبات، وفي باب المواسم كمضاعفة الأعمال في شهر رمضان، ومضاعفتها في مواسم الحج والعمرة وما أشبه ذلك، فالله يضاعفها أضاعفا كثيرة، وكذلك أيضا يضاعف الصدقات قال الله تعالى: { مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً } لم يحدد المضاعفة هنا، أضاعفا كثيرة { وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ } في آيات كثيرة. وأما السيئات فلا يجزى إلا مثلها { وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى إِلَّا مِثْلَهَا } ولكن مع ذلك فإنه يحاسب العباد؛ يحاسبهم على نعمه التي أنعم بها عليهم؛ ولأجل ذلك يخاف الإنسان على نفسه، جاء في الحديث أن النبي - صلى الله عليه وسلم- قال: { لن يدخل أحد منكم الجنة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا؛ إلا أن يتغمدني الله برحمته منه وفضل } يعني: أن عمله ولو كان قد عمل ما عمل؛ فلا بد أنه يحتاج إلى رحمة الله، وإلي فضل؛ وذلك لأن نعمه على عباده كثيرة فهو - سبحانه- إذا حاسبهم على نعمه؛ فإنه قد لا يبقى لهم شيء؛ قد لا يبقى لهم من الحسنات شيء؛ جاء في بعض الأحاديث: أنهم { جاءوا برجل قد عمل من الحسنات أمثال الجبال؛ فيقول الله: أدخلوه الجنة برحمتي فيقول: يا ربي أليس بعلمي؟ فيقول الله تعالى: حاسبوه على نعمي } فيقول الله لنعمة البصر: خذي حقلك من عمله، ولنعمة السمع خذي حقلك، ولنعمة العقل ولنعمة القلب ولنعمة النطق، ولنعمة الصحة ولنعمة الرزق ولنعمة الأمن ولنعمة القوة، وهكذا. لاشك أنه - سبحانه وتعالى- إذا حاسب عباده؛ فإنه يدقق عليهم، روي أنه - صلى الله عليه وسلم- أنه قال: { من حوسب عذب قالت عائشة أوليس الله يقول: { فَسَوْفَ يُحَاسِبُ حِسَابًا يَسِيرًا } فقال: إنما ذلك العرض } يعني: عرض أعماله، تعرض عليه عرضا دون أن يناقش في أسبابها؛ ولكن من نوقش الحساب عذب؛ حتى ولو كانت أعماله مضاعفة، الله - سبحانه- من فضله يضاعف الحسنات لعباده المؤمنين، الحسنة بعشرة أمثالها إلى سبعمئة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وصفح لهم بالتوبة عن كبائر السيئات بأنه لا يضاعفها، السيئة بمثلها. فيقول بعض العلماء: " ويل لمن غلبت آحاده عشراته "؛ يعني: الذي آحاده وهي السيئات تغلب عشراته وهي الحسنات؛ فلأجل ذلك يخاف الإنسان من سيئاته أن تتراكم عليه من قبله أيضا قوله تعالى: { إِنَّ تَجْتَبِيُوا كِبَائِرَ مَا تَنْهَوْنَ عَنْهُ تُكْفِرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ } الكبائر هي كبائر الذنوب إذا تجتبتها العبد؛ غفر الله له السيئات التي هي الصغائر، وقد أكثر العلماء في تعريف الكبائر، وقال بعض الصحابة أو بعض السلف: لا صغيرة مع الإصرار، ولا كبيرة مع الاستغفار، فالذي يصر على عمل ولو كان صغيرا يجعله الله من الكبائر، يجعل ذنبه ذنبا كبيرا؛ إذا أصر - مثلا- على حلق لحيته صار ذلك كبيرة أو أصر على الإسهال صار كبيرة أو أصر على شرب الدخان أو أصر على سماع غناء أو نحوه؛ فإن مثل هذه مع الإصرار تكون كبيرة، والكبائر تحتاج إلى توبة، فإذا لم يتب ومات مصرا عليها؛ خيف عليه العذاب، وقد يغفرها الله - تعالى- له إذا علم حسن نيته، فهي تحت المشيئة. جعل الله من لم يتب من الكبائر صائرا إلى مشيئته، قال الله تعالى: { إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } تواعد الله في هذه الآية على الشرك، وأنه لا يُغفر، وظاهر هذه الآية أنه لا يغفر جميع الشرك -صغيره وكبيره- كالربا - مثلا- والحلف بغير الله، وقول: ما شاء الله وشئت، أو هذا من الله ومنك، أو مالي إلا الله وأنت، أو أنت لي في الأرض والله لي في السماء، أو لولا فلان لم يكن كذا، أو لولا أنت ما كان كذا وكذا؛ فإن هذا وإن كان من الصغائر؛ وكان فاشيا في كثير من الناس؛ فإنه يكون من الكبائر، أو يكون من الشرك الأصغر، وحينئذ لا يغفر؛ ولذلك في ما روى عن ابن عباس وابن مسعود - رضي الله عنه- أنه قال: أن الحلف بغير الله أكبر من الحلف الكاذب قال: لأن أحلف بالله كاذبا؛ أحب إلي من أن أحلف بغيره صادقا، لماذا؟ لأن الحلف بغير الله شرك؛ فمن حلف بغير الله؛ فقد كفر أو أشرك، وأما الحلف بالله كاذبا؛ فهو ذنب، والذنب تحت المشيئة ولو كان كبيرا، تحت المشيئة؛ إن شاء غفره وإن شاء عذب به { وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ } ثم إذا أدخل الله - تعالى- بعض أهل الكبائر النار، وكانوا من أهل التوحيد، ولكن لهم ذنوب كبيرة؛ فأدخلهم النار بذنوبهم؛ فإن الله - تعالى- يخرجهم بعد أن يمحصوا يخرجهم الله - تعالى- بعد أن يحترقوا أو يمحصوا؛ تحمص ذنوبهم. هكذا جاء في كثير من الأحاديث ومن الآيات، يخرجهم الله - تعالى- منها بإيمانهم؛ فيدخلهم بهذا الإيمان الجنة؛ جاء في بعض الأحاديث أنهم يخرجون من النار؛ { يقول الله تعالى: أخرجوا من النار من قال: لا إله إلا الله وفي قلبه مثقال دينار من إيمان } يأمر الله الملائكة فيخرجونهم، ويعرفونهم بأثر السجود يعني: بأعضاء السجود، أعضاء السجود السبعة التي يسجد عليها، يحميها الله - تعالى- فلا تحترق؛ دل ذلك على أن الذين لا يصلون، لا يكون لهم معرفة ولا يعرفون؛ فيخرجون من النار وقد انتفشوا، وقد احترقوا؛ فيلقون في نهر الحياة فينبون منه كما تبت الحبة في حميل السيل، ثم يعطيهم الله - تعالى- ثوابا من الجنة - كما يشاء- وهذا دليل على أنهم يخرجون بعد أن دخلوها، فمنهم من يمكث فيها مائة سنة، ومنهم من يمكث فيها ألفا، ومنهم من يمكث فيها سنة أو يوما أو نحو ذلك، معلوم أنه لو مكث فيها بضع دقائق لاحترق وصار حمما؛ لأنها حرها شديد. قال النبي - صلى الله عليه وسلم- { ناركم هذه جزء من سبعين جزءا من نار جهنم قالوا: يا رسول الله إن كانت لكافية - يعني أنه لو دخلها إنسان لاحترق في لحظة كما نشاهده، فهي كافية لأنها عذابها شديد- فقال النبي - صلى الله عليه وسلم- فصلت عليها بتسعة وستين جزءا كلهن مثل حرها } فإذا كان هذا حرها فكيف حال الذين يدخلونها؟! لكن الله - تعالى- قضى أنهم لا يحترقون كما في قوله تعالى: { لَا يَمُوتُ فِيهَا وَلَا يَحْيَا } { لَا يُقْضَى عَلَيْهِمْ قَيْمُوتُوا } يتمنون الموت يقولون: { يَا مَالِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ } فالحاصل أن من دخلها من أهل التوحيد وأهل الإيمان؛ فإنما دخلها بالكبائر فإن الله - تعالى- يخرجها منها، ولا يبقى في النار أحد من أهل التوحيد، فيجازيه الله - تعالى- بحسناته { فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ } هكذا أخبر بأنه لا يظلم عباده { وَإِنْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ حَرْدَلٍ آتَيْنَا بِهَا } في بعض الأحاديث { يخرج من كان في قلبه مثقال ذرة من الإيمان } .